

دار الشروق —

إرهاق الوجود الإسرائيلي

فداقنا - بئنا - انحنائنا
هواننا - حزننا - ذلنا

حسين الشافعي

مترجم من: محمد عبد الله

إرهاق الوجود الإسرائيلي
عدائنا - سياسنا - اقتصادنا
ثقافتنا - ملهنا - هويتنا

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروكة

أسسها محمد المعتم عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيديويه المصري -

رابعة العدوية - مدينة نصر

ص. ب. ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩

فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com


حسين الشافعي

نائب رئيس الجمهورية الأسبق

إرهاق الوجود الإسرائيلي

فدائياً - سياسياً - اقتصادياً
ثقافياً - علمياً - فكرياً


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

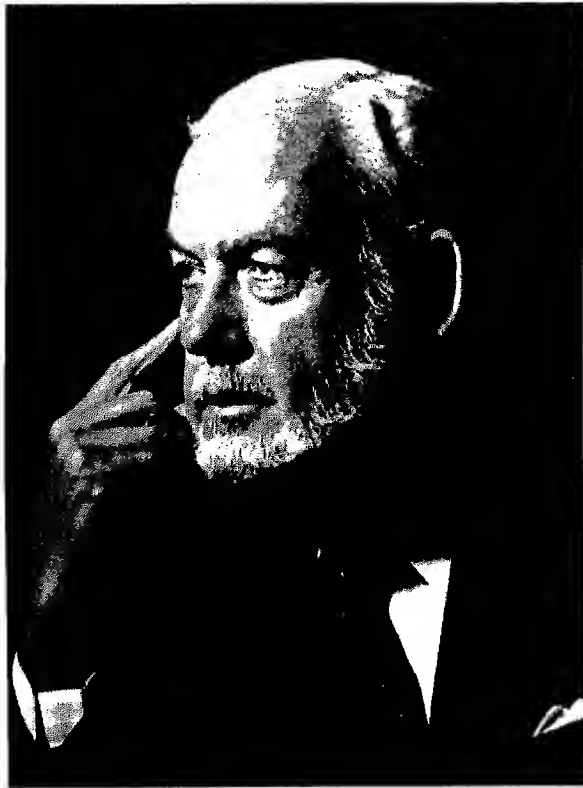

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

كتب عربي

(أشهرات)

دار الشروق

رقم التسجيل ٧٤٦٧٥



حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية الأسبق

إهداء

إلى أرواح الشهداء
الذين رووا الأرض بالدماء
عطياء وبذلاً وفداءً

إلى

أرواح شهداء ١٩٤٨
أرواح شهداء ١٩٥٦
أرواح شهداء ١٩٦٧
أرواح شهداء حرب الاستنزاف ١٩٦٩
أرواح شهداء حرب أكتوبر ١٩٧٣
أرواح شهداء الانتفاضة الأولى ١٩٨٧
أرواح شهداء المقاومة في لبنان ١٩٨٢
أرواح شهداء الانتفاضة الثانية ٢٠٠٠

التي بدأت في ٢٨ سبتمبر ذكرى وفاة جمال عبدالناصر والتي ندعو الله
أن تبقى مضيئة مشتعلة إلى أن تعم سائر البلاد العربية والإسلامية
تأكيداً لاستمرار ثورة ٢٣ يوليو حتى تتحرر أرض فلسطين وسائر بلاد
المسلمين .

فليكن شعارنا

إرهاق الوجود الإسرائيلي

فدائياً - سياسياً - اقتصادياً

ثقافياً - علمياً - فكرياً

مقدمة

إن مراحل إعادة بناء القوات المسلحة وإقامة قاعدة الصواريخ وحرب الاستنزاف، هي الركائز التي مهدت لحرب أكتوبر وكل منها ملحمة ينبغي أن تسجل بكل تفاصيلها وتضحياتها من الأموال والأنفس، وكانت الملحمة الرابعة هي الضرب في العمق، ومنها ضرب مدرسة بحر البقر ومنطقة الخانكة وأبى زعبل وقناطر فنج حمادى. وفي النهاية لم يبق لهم من سبيل للانتقام من العمليات الناجحة في حرب الاستنزاف إلا الاعتداء بالغارات الجوية على مدن القناة: بورسعيد والإسماعيلية والسويس، والملحمة الخامسة كانت تهجير أهل مدن القناة الثلاثة؛ حيث بلغ عدد المهجرين إلى ما يقرب من مليون ونصف المليون. وبذلك لم يبق للعدو أى مجال للانتقام، وأصبحت عملية التهجير هي بمثابة العبور إلى الهدف الذى تحقق في العاشر من رمضان الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

وفي عام ١٩٧٢ وقبل الحرب بسنة وعشرة أشهر، قامت المظاهرات فى جميع الجامعات؛ حيث إن عام ١٩٧١ الذى أطلق عليه عام الحسم. فلما مضى عام الحسم دون حسم، وكان صبر الناس قد نفذ.

قامت المظاهرات تعبيراً وتنفيساً، وكانت المظاهرات في جامعة أسيوط هي الأشد، وذهب من ذهب من المسؤولين لتهدة النفوس إلا أنهم في أسيوط أرادوا أن يستمعوا إلى من يمثل ثورة ٢٣ يوليو، فجاء لمقابلتي وفد من أهل أسيوط وممثلون لاتحاد طلبة الجامعة وممثلون لمجلس إدارة الجامعة وتم الاتفاق على تلبية هذه الدعوة الكريمة وتحدد لهذا اللقاء التاريخي يوم ٤ مارس ١٩٧٢ .

ركبت قطار الصعيد بمفردي وحيداً؛ حيث اعتذر وزير التعليم العالي في اللحظة الأخيرة، وكان هذا الوزير هو «شمس الدين الوكيل»، بدعوى أن السادات أراد مناقشة سياسة التعليم في هذا اليوم .

وصلتُ محطة أسيوط ظهراً وكان في استقبالي أصحاب الدعوة وهم مجلس إدارة الجامعة وممثلو اتحاد الطلبة وأهل المدينة ومعهم المسئولون في المحافظة، وتوجهنا إلى الجامعة وكان الطلبة في الكافتيريا يتناولون وجبة الغداء، وكان كل منهم يحمل بين يديه ما يحمل عليه طعامه فتقدمت وأخذت مكاني معهم في الصف لأتناول وجبة الغداء معهم مما يأكلون، وكنت سعيداً وكانوا سعداء بهذه المشاركة، وذهبت للحجرة التي أعدت لى لأستكمل بيني وبين نفسي الإجابة عن هذا السؤال: ما الذي يريد أصحاب الدعوة أن يسمعه مني؟ وكانت هذه الخلوة استكمالاً لما بدأته في رحلة القطار من مناقشة الموقف بأبعاده بعد أن انقشع غبار معركة ١٩٦٧، ودخلنا في مراحل التصدي والصمود وحرب الاستنزاف التي أوقفتها مبادرة «روجرز» .

صليتُ العصر ودعوتُ الله والتمستُ منه التوفيق؛ حيث إن الكلمة قدر، والكلمة أمانة، والكلمة مسئولية، والكلمة اهتمام للسامع، وبقدر ما يكون بها من إخلاص يكون مردودها التوفيق والقبول.

وبدأ الاجتماع مع غروب الشمس، وأردت أن تكون السيطرة على الاجتماع محكمة على قدر الإمكان، فطلبت ألا توجه الأسئلة إلا من خلال المنصة ومن خلال من يمثل الطلبة، فوافق الجميع على أن رئيس اتحاد الطلبة هو الذى توجه من خلاله الأسئلة، فدعوته ليأخذ مكانا معنا فى المنصة.

وبدأ الاجتماع بالكلمات التقليدية التى تعبر عن إدارة الجامعة واتحاد الطلبة وأهل مدينة أسيوط، وجاء دورى فى الكلام، فقلت فى كلمة مرتجلة كل ما فى نفسى تعبيراً عما عشناه ومارسناه، فكانت كلمة فيها تحديد للمنهج الذى علينا اتباعه لمواجهة أعدائنا مهما كان حجمهم ومهما كان تدبيرهم.

قلت: لأول مرة أحضر إليكم فى مدينتكم أسيوط بعد انتقال جمال عبدالناصر، ومن حق هذا الرجل علينا فى البلد الذى أنبتته أن نذكر ما أنجزه خلال خمسة عشر عاما.

إن ما أنجزه لا يقع تحت حصر، ولن يذكر له التاريخ فى كل ما أنجز إلا أنه بشورة ٢٣ يوليو المجيدة، استطاع أن يحرك واقع المنطقة العربية، ولكنه مات سنة ١٩٦٧، إلا أنه تشبث بالحياة، ليستر انسحابه من الحياة فى عام ١٩٧٠. وفى هذه المرحلة خاض أمجد

معاركه عندما أعاد بناء القوات المسلحة وأقام قاعدة الصواريخ وبدأ
حرب الاستنزاف، فلما شعر بالأمان مات مطمئناً فتحية لنضاله
وفاتحة لروحه .

ثم ألقى المسئولية على عاتق الأخ الزميل أنور السادات، وهى
مسئولية لا يسعى إليها عاقل، ولكن إذا ألقى المسئولية على عاتق
الرجال فينبغى أن يحملوها كما يحمل الرجال مسئولياتهم، وإنى
أدعوكم أن تقفوا إلى جانبه وتساندوه وتدعوا له بالتوفيق . وقبول هذا
الاستهلال من هذا الجمع الذى كان يتجاوز عدده ١٠ آلاف بالقبول
والارتياح .

وشعرت بأن المشاعر العامة تشد من أزرى وتشجعنى للدخول فى
صلب الموضوع الذى أعلم أنه يشغل بال الحاضرين بعد أن عاشوا كما
عاش شعب مصر هذه المرحلة فى قلق وتربص وانتظار لنرد ونشأ لعام
١٩٦٧، فنغسل العار ونحقق الانتصار .

ثم قلت: إن مصر لها وضع خاص وليست كغيرها من البلاد،
فهى المكان القائد فى هذه الأرض حتى أن القرآن الكريم يطلق عليها
اسم الأرض وهى مجرد جزء من الأرض، ولكنه التعظيم والتكريم،
كأن يقول يوسف - عليه السلام -: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾
(يوسف : ٥٥)، أى على خزائن مصر، ويذكر اسمها فى القرآن
الكريم خمس مرات بعدد الصلوات الخمس وعدد أركان الإسلام،
ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى شأن مصر ثلاثة أحاديث
نذكرها لأهميتها فى الموضوع الذى نتعرض له :

- ١ - «أوصيكم بأهل مصر خيراً فإن لكم فيها نسباً وصهرًا» .
- ٢ - «مصر كنانة الله في أرضه من مسها بسوء قصم الله ظهره» .
- ٣ - «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فهم خير أجناد الأرض لأنهم هم وزوجاتهم في رباط إلى يوم القيامة» ، وهي إشارة لرباط اجتماعي لتجانس أهلها ورباط حربي وعسكري لأنها مطموح فيها لما تمثله من قيمة ومحور للأمة الوسط التي قال الله في شأنها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) . والكنانة معناها جعبة السهام التي ترد العدوان .

لكل ذلك فالصراع بين الأقوياء عندما تكون مصر في دورات الزمان المتقلبة ليست على مستوى القيادة ، تكون مطمعا للأقوياء كل يريد لها لنفسه . وهذا الوضع يعرضنا لمعركة تفرض نفسها علينا ، وليس من المفيد أن نستعين بقوة منهم على الأخرى ، فإنهم في نهاية المطاف يؤكدون أن الوفاق بينهم لضربنا مقابل تسويات وتنازلات بينهم .

وقد حدث ذلك في عام ١٩٠٤ فيما يسمى بالوفاق الودي بين إنجلترا وفرنسا . انفردت إنجلترا باحتلالها لمصر مقابل إطلاق يد فرنسا في تونس وشمال أفريقيا . وها هو التاريخ يعيد نفسه ، حينما كان الصراع بين روسيا وأمريكا وانتهى بهما الأمر بضربنا في عام ١٩٦٧ والذي وصفته في هذا اللقاء قائلًا :

إن ما حدث في ١٩٦٧ كان خيانة وكانت مؤامرة اتفقت فيه

الأطراف واستدرج فيها من استدرج وجاز الأمر على السذج ، لكي نعيش النتيجة . واتضح من هذه التجارب المتكررة أنه لا سبيل لمواجهة هذه العداوات إلا فى الارتباط بالأكبر وهو الله القوى العزيز .

أما المعركة الثانية : فهى ضد الوجود الإسرائيلى بكل ما يمثله من أطماع تتمثل فى الشعار الذى يرفعونه ، وهو «ملكك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل» ، وهذا ما يشير إليه علمهم الذى توسطه نجمة داود فى أعلاها وأسفلها خيطان باللون الأزرق إشارة إلى النيل والفرات . وما وجودهم فى أرض فلسطين المحتلة إلا مقدمة إلى أطماعهم التى لا تقف عند حد ، وهى الدولة الوحيدة التى ليس لها حدود ويقولون : «الحدود حيث تصل الجنود» .

ولذلك فإن المعركة بيننا وبينهم هى معركة حياة أو موت ، وهى أن نكون أو لا نكون .

إن أسلوبهم فى مواجهتنا هو أسلوب انتهازى يعمل على استدراجنا فى معارك تقليدية ، يملكون فيها التفوق فى التسليح الذى تقدم به حاضنتهم أمريكا . وهم يريدونها حربا خاطفة تنتهى فى أيام ؛ فيكون انتصارهم انتصارا مضللا فيزيدهم صلفا وغرورا وينعكس علينا باليأس والإحباط .

ولقد آن الأوان أن نستدرجهم نحن إلى المعركة التى نملك فيها كل عناصر التفوق فى العدد وامتداد الأرض وحجم الموارد ، التى تزخر بها أراضينا الممتدة من الخليج إلى المحيط عربيا ، ومن المحيط إلى المحيط إسلاميا . وهذا يقتضى منا أن نرفع شعارا جديدا يعبر

عن هذه الطاقات فى حرب (فدائية - اقتصادية - سياسية - ثقافية - فكرية - علمية) تحت هذا الشعار . إرهاب الوجود الإسرائيلى فدائياً - سياسياً - اقتصادياً - ثقافياً - علمياً - فكرياً، ونعد لكل ميدان من هذه الميادين الستة خطة عمل مفصلة . . وعندما ننتهى من هذه الدراسة تكون الخطة المتكاملة، ونبدأ فى تنفيذها خطوة خطوة، وتكون مصر هى القيادة التى تنطلق منها هذه الدعوة، وفى كل يوم ينضم إلى كتائب الفدائيين فى كل هذه الميادين إلى أن تتسع الجبهة على الأعداء، فلا يكون أمامهم من سبيل إلا الجنوح إلى السلم الذى لم يجنحوا له أبداً إلا تحت هجمات الفداء، من حرب الاستنزاف، إلى انتفاضة الحجارة الأولى، إلى المقاومة فى لبنان، إلى الانتفاضة الأخيرة التى بدأت فى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، مع الذكرى الثلاثين لانتقال جمال عبدالناصر، وكأنها بذلك تجدد الصمود، وتقول ثوار ثوار ولاخر المدى ثوار، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. مرددين قول الشاعر:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر

المؤلف

أكتوبر ٢٠٠١

١- فدائياً

كلما أهلت علينا وعلى الدول العربية ذكرى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تجدد الحديث عن جمال عبدالناصر كقائد لهذه الثورة المجيدة ليس بالنسبة لمصر، ولكن بالنسبة للعالم العربي؛ حيث إن من أهم ما أحدثته الثورة هو أنها حركت واقع المنطقة العربية.

وهنا يتردد التساؤل: هل لفكر جمال عبدالناصر امتداد وتواصل بعد أن مضى على انتقاله إلى جوار ربه ما يقرب من الثلاثين عاما؟ وهناك من يسأل ليعلم، وهناك من يسأل ليتعالم، وهناك من يسأل ليشكك، وهناك من يسأل ليطمئن.

ولكل أولئك أقول: إن جمال عبدالناصر كان ظاهرة عبرت عن مرحلة من مراحل النضال المضيئة في تاريخ الأمم، وهذه المراحل في تتابعها إنما تسعى إلى تحرير الإرادة لاستعادة الذات، وإلى تعميق الإحساس بالعزة والشرف وبالكرامة الوطنية والقومية. وكل مرحلة أشبه بفرع في شجرة الحرية تعبيرا عن نضال الشعب لاستخلاص إرادته من مغتصبيها. وكل مرحلة لها رجالها الذين تقع عليهم أعباء المرحلة. وكل مرحلة تساعد على إظهار عوامل القوة، كما تساعد أيضا على توضيح عوامل النقص، وبذلك تزداد الصورة وضوحا وجلاء؛ فنعرف ما تحقق، ونعرف ما لم يتحقق وهذا يدفع المناضلين

أن يراجعوا تقديراتهم لموقف أمتهم، ويتبينوا حجم عدوهم ومن وراءه، ويتعرفوا أيضا على عناصر قوتهم التي لم تستخدم في مرحلة النضال السابقة، ليكون الحشد للمرحلة القادمة أكثر شمولاً وأكثر فاعلية، ومراحل النضال متصلة، كما أن مراحل التبعية وفقد الإرادة أيضا متواصلة، ولا ينبغي أن تختلط الأوراق بين مراحل النضال وفترات التبعية وفقد الإرادة؛ حيث إن فترات التبعية مراحل عارضة، أما مراحل النضال فهي فقط التي تحسب في عمر الأمة، أما فترات التبعية وفقد الإرادة فهي الوقت الضائع.

فاللهم أدعو أن تجعل أيام النضال هي السائدة حتى يتحقق وعد الله في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

إن قمة التآمر على العالم الإسلامي بدأ في عام ١٩١٧ عند دخول الجنرال اللنبي مدينة القدس، وقال كلمته المشهورة وهو يتسلم مفتاح المدينة المقدسة: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»، وعندما دخل الجنرال جورو الفرنسي دمشق وعند قبر صلاح الدين قال: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»، وبدأت الجريمة الكبرى أولى خطواتها بصدور وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧ للتمكين لليهود بأن يكون لهم وطن قومي في فلسطين.

وبعد ٣٠ سنة في عام ١٩٤٧ كان قرار التقسيم، ثم حرب ١٩٤٨ لإتمام جريمة العصر بهذا التحالف الصهيوني الغربي الذي ستظل البشرية تعاني منه إلى أن يأذن الله بتدبيره المحكم، الذي يتم مرحلة

تتلوها مرحلة من البذل والفداء وإرهاق هذا الوجود حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة، فنردد جميعاً قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

كلما قرأت الآية القرآنية في قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨). أشعر بأن هذه الآية قد قيلت في مسلمي هذا الزمان الذي نعيش فيه وهي تبدأ بتساؤل: كيف؟ أى كيف يصل بكم الأمر أن تهونوا على أنفسكم حتى يظهر عليكم الكفار والمشركون وقتلة الأنبياء فلا يراعون فيكم ضعيفا وليس لهم عهد أو التزام، ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨). كيف تخرجون عن منهج السماء حتى يستهين ويطمع فيكم الأعداء؟ كيف تفرطون في حق أنفسكم وقد قال الله فيكم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)؟ كيف تقفون بين يدي الله وهذا حالكم وقد خلقكم لتقودوا البشر إلى طريق الخير بمنهج السماء تصديقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)؟ فيا أمة لا إله إلا الله. أن الأوان للبذل والفداء تنفيذا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة: ١١١).

إننا نحبيكم أيها المجاهدون وأبطال الحجارة، فقد أصبحتم الأمل والقدوة بكل جدارة، وقد أبلغتم الإشارة وأرهقتم الوجود الإسرائيلي في عقر داره . . مصر الكنانة تشد من أزركم حتى تتحرر الإرادة . . ومصر الثورة تحرضكم على ضرب عدو الله وعدوكم بلا هوادة، والله معكم . . وتحية لمن فاز بالشهادة واذكروا الله كثيرا فإما نصراً وإما شهادة .

لا تكتفوا بالحجارة تقذفونها، ولكن أشعلوها نارا وحرائق وخربوا أرضا اغتصبوها ودمروا كل ما أقاموا من مرافق، لا تتركوهم يغمض لهم جفن أو ينعموا بما سرقوا، وليقل كل منكم بأعلى صوت: الأرض أرضى والبلاد بلادى ولن أترك منها شبرا واحدا للأعدى . . شهداؤكم فى الجنة وقتلاهم فى النار فهم حزب الشيطان وأنتم حزب القادر الجبار .

إن إرهاب الوجود الإسرائيلى فدائيا لن يتوقف منذ بدأ بحرب الاستنزاف التى أشعلت الشرارة الأولى لهذا النوع من الحرب غير النظامية، والتى فيها مقتل إسرائيل فاستغاثت بحاضنتها أمريكا التى تقدمت بمبادرة «روجرز» والتى قبلتها مصر لاستكمال قاعدة الصواريخ، وما أن جاء عام ١٩٧٧ بمخازيه وتبعه عام ١٩٧٨ وكامب ديفيد بما فيه، حتى انطلقت انتفاضة الحجارة تعبيرا عن الألم والمرارة فى عام ١٩٨٧ وسبقتها المقاومة فى لبنان، ثم الانتفاضة الثانية فى ٢٨ سبتمبر من العام الماضى، وكأنها احتفال بذكرى وفاة جمال عبدالناصر .

إنها شعلة الثورة التي تتجدد في صور متتابعة لا تتوقف
مادامت الحياة فإن عدوكم على استعداد للتسليم بقدر ما في
نفوسكم من تصميم: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِّبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

٢- سياسيا

—

لكى نستطيع أن نتصور كيف يكون إرهاب الوجود الإسرائيلي سياسيا، ينبغي أولا: أن نتيين التعريف الحقيقي لهذا الوجود العابر الغادر لهذه الدولة التى ولدت سفاحا فى الظلام، وتركت لقدرها على أعتاب المسجد الأقصى كأولاد الحرام. إنها الدولة الوحيدة التى فرضت وأنشئت بقرار، وسيكون زوالها بإذن الله بالجهاد والإرادة والإصرار.

ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية اتفق المنتصرون الكبار على فرض هذا الكيان الغريب فى فلسطين، إلى أن يقضى عليه كما قضى على دولة أورشليم على يد صلاح الدين.

لقد قام هذا الكيان على دعاوى وخرافات كاذبة وادعاءات تاريخية ما أنزل الله بها من سلطان، كلها خداع وأوهام. فكان العدوان سبيلها ومركبات النقص والحققد دافعها، وتحدى غضب الله عليهم بتشتيتهم أن يتجمعوا، ليقيموا هيكل سليمان فى أرض الميعاد وهم لا يعلمون أنهم مسخرون لمصيرهم المحتوم. . . ويكفى قول الله تعالى فيهم: ﴿وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١).

الطمع طبيعتهم، فيقولون: «الحدود حيث تصل الجنود»، فليس لدولتهم حدود، وتعلن فى صلف وغرور: «ملكك يا إسرائيل من

الفرات إلى النيل»، حتى علمهم يعلن ذلك فى وقاحة : خطان باللون الأزرق تعبيراً وإشارة للفرات والنيل وبينهما نجمة داود .

وبالابتزاز المالى والإعلامى يستميتون فى فرض واقع أساسه اغتصاب الأرض من أصحابها، ويعملون على إحياء لغة ميتة، ويصرون على أنهم مازالوا شعب الله المختار، وقد نسخ الله آيات التفضيل التى كانت لهم، يقول تعالى فى حق أمة الإسلام: ﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) .
 فيهم صفات المنافقين، والمنافق إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتى من خان، ويقول الله تعالى فى ذلك: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ١٠٠) .

ويصفهم الله بالجن فيقول عز من قائل: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١٣، ١٤) . وهم يخشون أهل فلسطين من قديم الأزل كما يقرر القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة: ٢٢) . وقولهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤) .

فما هي مصادر قوتهم ومقومات وجودهم؟

أولاً : سعيهم المستمر للانفراد باستقطاب القوة العالمية الكبرى - وهي الآن أمريكا - تحتّمى فيها وتحارب بسلاحها، وتتوارى من ورائها لتغطية جرائمها تحت دعوى أنها الحامية لمصالح أمريكا فى منطقة المشرق العربى، وكل ذلك بالابتزاز المالى والإعلامى، واستغلال الضغط اليهودى ماليا وإعلاميا فى الولايات المتحدة.

ثانياً: تسخير جهاز الأمم المتحدة لتحقيق أهدافها أو عدم إدانتها على انتهاكها لكل الحقوق والأعراف الدولية، وذلك بالاستفادة من الفيتو الأمريكى.

ثالثاً: التسلط المالى والإعلامى من خلال امتلاك دور النشر والصحف ومعظم وسائل الإعلام، مكّن لها تزيف الحقائق حتى ضاعت الحقيقة.

رابعاً: غيبة العالم العربى والإسلامى عن الاضطلاع بمسئوليته ورسالته والتقصير الشديد فى حشد إمكانياته لمواجهة هذا التآمر والعدوان.

كيف نواجه ونتصدى لنتنصر على هذه الأمور الأربعة : إننى أعلم أنه ليكون لك وزن وفاعلية وتأثير فلا بد أن يكون لديك وسائل ضغط، حيث إن الذى لا ينفذ فى إمكانه أن يضر وكلما زادت القوة فلها نقط ضعفها، كما أن لها مصالح فى مجالات متعددة، فلو أمكن

استغلال إمكانياتنا وتحريكها للإضرار بهذه المصالح إذا استمرت في مساندة باطل إسرائيل والاعتداء على مصالح العرب والمسلمين ، فلنا من العمل النقابي والتنظيمات الشعبية ما يمكن من خلاله الإضرار بهذه المصالح ، وإنني مازلت أذكر قوة النقابات والتنظيمات الشعبية وإمكان قيامها بأدوار فعالة للإضرار بهذه المصالح ، لتدرك أمريكا أن سياستها المتحيزة يمكن أن تجرّ عليها خسائر لا قبل لها أن تحتملها إذا استمرت في مساندة إسرائيل بالباطل والظلم والاعتداء .

إن كل نقطة من النقاط الأربع تشكل أساسا للدراسة المتعمقة لتحريكها ، والتي ينبغي على أجهزة الجامعة العربية أن تجعل ذلك مجالا للبحث الذي ينتهي إلى خطط تتناول مسار الأمور في سياساتنا شداً لأزر المجاهدين في فلسطين الذين استطاعوا وحدهم بنضالهم أن يشكلوا ضغطاً وإضراراً بمصالح العدو في مجالات متعددة ، منها السياحة والهجرة إلى إسرائيل التي انكمشت وزيادة الهجرة إلى الخارج ، وأصبح الاقتصاد يعاني من خسائر لا يستهان بها ، هذا فضلاً عن افتقاد الأمن والأمان .

وأنهى حديثي بقوله تعالى في ختام سورة : (آل عمران : ٢٠٠) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ . صدق الله العظيم .

٣ - اقتصادياً

عندما كانت منشورات الضباط الأحرار تحدد المبادئ الستة التي كانت المحرك لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ المجيدة، كان نطاق التفكير لا يتجاوز النطاق المحلى فى مصر، ولكن من التطبيق والممارسة اتضحت الحقيقة . . إن مجال الواقع يتجاوز النطاق المحلى والنطاق القومى وتخطاه إلى النطاق الدولى، بل الكونى .

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قال فى شأن من اختاره واصطفاه ليغير واقع الحياة لتتوافق مع منهج الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) .

إذًا فهى رسالة وإن كانت قد بدأت بين العرب الذين يتكلمون اللغة العربية، إلا أن نطاق مسئوليتها يشمل العالم أجمع .

إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو القائد الوحيد الذى تحققت على يده هزيمة اليهود شر هزيمة انتهت بإخراجهم من خيرير والمدينة المنورة فى أول الحشر . ولم يتحقق ذلك إلا باتباعه لمنهج السماء فى مختلف مجالات وميادين الحياة، ومن بينها ميدان الاقتصاد الذى أصبح مدخل اليهود للسيطرة والتحكم فى غفلة المسلمين عن منهجهم الذى انتصروا به . فلما تركوه ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، لاحت الفرصة لليهود الذين كفروا من أهل الكتاب لإقامة دولة الشيطان التى يحكمها الطاغوت .

نعود لمبادئ الثورة - المبدأ الثاني - القضاء على الاحتكار وعلى سيطرة رأس المال على الحكم ، فعلى سبيل المثال كان أحمد باشا عبود على رأس الرأسمالية فى مصر قبل الثورة ويعمل لديه حسين باشا سرى رئيس الوزراء عندما يترك الوزارة ، وكانت القوانين لا تعبر إلا عن مصلحة الإقطاعيين والرأسماليين الذين يستمدون سلطانهم وقوتهم من الوجود الاستعماري المتمثل فى جيش الاحتلال ، وعلى رأس البلاد ملك هو أولا وآخره موظف من قبل الإنجليز بدرجة ملك .

لقد استمد اليهود سلطانهم العالمى الذى تجاوز عددهم الضئيل من سيطرتهم على رؤوس الأموال وتجميعها واكتنازها من أى سبيل ، كما فعل قارون الذى يصوره القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص : ٧٦ ، ٧٧) .

أردت أن أبدأ بهذه المقدمة حتى يكون الأمر واضحاً ، إن ما تعانيه البشرية من ظلم بين ، يبدأ عندما تنفرد قلة بتجميع المال واكتنازه من أى طريق وبأى وسيلة ، وبدلاً من إنفاقه فى سبيل الله لإسعاد الجميع عملوا على تحويله إلى وسيلة ضغط وإخضاع وسيطرة لإخضاع إرادة الآخرين ، وحتى يصبح الناس فى النهاية يعبدون الدولار بدلاً من

عبادة الواحد الرزاق القهار، وأصبح الاقتصاد بهذه الطريقة وعلى هذه الصورة هو الشيطان وهو الطاغوت، له قوانينه وله طقوسه وله سدنته وكهنوته لإخضاع البشر لحساب القلة الباغية التي استباحث الانفراد بكل الخير على حساب الجياع، والفقراء والمساكين في كل أنحاء الأرض.

وبذلك ضاعت الحكمة التي أرسل الله بها رسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). هذه الرحمة التي هي أعلى مراتب القوة الخيرة والقوة البناءة، وليست القوة الطماعة، القوة المفسدة، القوة المدمرة.

هذه هي الرحمة التي تتركز في أن المال هو مال الله الذي هو الرزاق. والمطلوب من البشر المستخلفين في هذا المال أن يبادروا بإنفاقه في سبيل الله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤)، أى أن الذين يكفرون بمبدأ الإنفاق كركيزة لفلسفة الاقتصاد الإسلامى يحولون المال من أداة رحمة تعم الجميع بالإنفاق في سبيل الله، إلى اكتناز يكون وسيلتهم في السيطرة والاحتكار للتحكم في عباد الله، للإذلال والإخضاع وهذا هو الحال الذي تعانيه البشرية، عندما يضيع منها الطريق إلى منهج الله الذي أرسل الله به رسوله الذي أرسله: ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٨). ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). ويقول الحق تبارك

وتعالى في هذا المجال : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧).

ولذلك كان الهدف الثالث للحركة الصهيونية بعد حصولهم على موطن قدم لهم في فلسطين، ثم استجلاب اليهود ليقيموا في هذه الأرض هو احتواء المنطقة اقتصاديا، فتكون لهم مع مرور الوقت السيطرة الفعلية بتحكمهم في الفعاليات الاقتصادية.

ويذكر بعض كتابهم أنه بعد أن أصبح ثلث الفلسطينيين يعيشون داخل إسرائيل، وثلث آخر يعيش خارج إسرائيل، والثلث الأخير موزعا في البلاد العربية فإنهم بذلك يمثلون المعابر والجسور التي يمكن احتواء المنطقة اقتصاديا من خلالها.

لقد كان لهم من خبرتهم وممارستهم في المجتمعات التي عاشوا فيها أن تمكنوا من السيطرة على مقدراتهم الاقتصادية ولما جاءوا إلى فلسطين تصوروا أن ما حققوه في مختلف المجتمعات ليس من الصعب تطبيقه في فلسطين.

والذي يراجع ما تم الاتفاق عليه في كامب ديفيد عام ١٩٧٨ يجد أن هناك بالإضافة إلى تسليم سيناء منزوعة السلاح ومنقوصة السيادة، فهناك كذلك اتفاقية ثقافية وأخرى تجارية، لكي يحققوا من

خلالهما أول اختراق للاقتصاد المصري ، لتكون البداية للتسلل بهدف القضاء على التضامن العربى فى مجالات الضمان الجماعى والمقاطعة العربية لأى تعامل تجارى مع العدو الإسرائيلى .

والمقاطعة الاقتصادية لإسرائيل هى أضعف الإيمان فى مجال الإرهاق الاقتصادى لإسرائيل ، ولمواجهة عدوان إسرائيل على الأراضى العربية يستبىح فيه قتل الأبرياء وتدمير المنازل اعتداءً على أهلنا وإخواننا أبناء فلسطين المحتلة . ولنبدأ على الفور فى إرهاق الوجود الإسرائيلى اقتصاديا على سبيل المثال لا الحصر :

أولا : إسقاط جميع الاتفاقات التى تتعارض مع إرهاق الوجود الإسرائيلى اقتصاديا وأولها اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٨ .

ثانيا: إحياء الضمان الجماعى بين دول الجامعة العربية وإنشاء صندوق لتقديم المساعدات النقدية والعينية للمجاهدين فى فلسطين ، والاستغناء عن كل المعونات المسمومة التى تقدم من الدول التى تساند إسرائيل .

ثالثا: الدعوة لإحياء الفكر الإسلامى واتباع ما تقضى به الشريعة من منع قطعى للربا بكل صوره بين دول العالم الإسلامى والعربى ، مع العمل على تحصيل الزكاة وتطهير الاقتصاد من أى شبهة تتعارض مع تعاليم الإسلام .

رابعا: أن يتولى أمور الاقتصاد من يؤمن بأن مال المسلمين أمانة والتفريط فيها هو تفريط فى حق الله سبحانه وتعالى .

خامساً: الانفتاح على العالم الإسلامى والتوسع فى التبادل التجارى والاقتصادى، حتى تتسع رقعة المقاومة والتصدى وتشكيل كتلة تحقق التكامل وتوفر الحماية للكيانات الاقتصادية الضعيفة.

سادساً: إعلان المقاطعة الاقتصادية ليس ضد إسرائيل فقط، بل ضد كل من يساند إسرائيل.

سابعاً: رفض تقبل أى مساعدات مالية، حتى لا تكون مدخلا لفقد الإرادة الحرة، إعلاء لمعانى العزة والكرامة، ولنعلم أنه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

٤- ثقافياً

«لابد للقوة من عقيدة تدفعها، ولابد للعقيدة من قوة تحميها»

فى العيد الأول للاحتفال بمرور عام على قيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة أى فى عام ١٩٥٣ ، طلب منا نحن أعضاء مجلس الثورة أن يتقدم من يرى شعارا مناسباً يعبر عن الثورة ليرفع فى الميادين العامة ، فكان هذا الشعار الوارد فى صدر المقال أحد الشعارات التى تقدمت بها وكان معلنا فى ميدان التحرير . تذكرت هذا الشعار ونحن نتناول الحلقة الرابعة فى سلسلة مقالات إرهاب الوجود الإسرائيلى ثقافيا .

والثقافة هى واحد من أسلحة الغزو الخطيرة والفعالة ، وهى لا تقتصر على المتاحف والفنون فى مجالاتها المختلفة ، ولكن هى واحدة من خطوط الدفاع الرئيسة التى عليها أن تتصدى للغزو الثقافى ضد الدين واللغة والتاريخ والمبادئ والقيم التى يؤمن بها الشعب ، وهذه المواجهة لا تحتل أى قدر من التراخى أو التفريط أو الإهمال .

إن الذى أثار انتباهى إلى هذه القضية الحيوية هو ما جاء فى اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٨ ، إذ إن من بينها اتفاقية ثقافية تضاف إلى الاتفاقية التجارية التى تكلمنا بشأنها فى حلقة الإرهاب الاقتصادى للوجود الإسرائيلى اقتصاديا ، وإننا بطبيعة الحال لا نخشى على

أنفسنا من ثقافة إسرائيل أن تخترق ثقافتنا لأنهم بلا ثقافة، ولكن إسرائيل هي التي تخشى على نفسها من ثقافتنا التي يمكن أن تحطم وتكشف عورات هذا الكيان الصهيوني الذي هو أقرب ما يكون إلى عصابة من اللصوص الذين يعملون في الظلام، وأكثر ما يخيفهم ويزعجهم ويقلقهم هو أن تسلط عليهم الأضواء، فيستيقظ أهل البلاد فيعرفون حقيقتهم وإجرامهم، وهم كالثعابين التي تغير جلدها، وكالحرباء التي تغير لونها لتغطي واقعها بصور مختلفة من النفاق للإيحاء بأنهم دعاة خير ومحبة وسلام ليجذبوا الذين لا يعرفون طبيعتهم الشريرة، فإذا انفضحت حقيقتهم خرجوا على الناس بصورة جديدة وتحت تنظيم جديد، فهم الماسونية، وهم الصهيونية، وهم الروتاري، وهم الليونز، وهم اليهودية الدولية وغير ذلك من التنظيمات التي تدعى أعمال الخير وتأتي من خارج البلاد بأهداف زائفة.

وهل من المعقول أن تأتي هذه الكيانات المشبوهة من خارج البلاد لخدمتنا وإقامة أعمال الخير بيننا، أم هي وسائل الخداع والنفاق لاصطياد حسنى النية الذين تخذعهم هذه الدعاوى الكاذبة؟

إنهم يخترقون مجتمعنا في غفلة منا فلنحذرهم، ويكفيينا في هذا المجال قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

إن عدوهم الأعظم هو الإسلام: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢)، لقد حاولوا مرارا طباعة

نسخ القرآن محرفة ليزيلوا منها كل ما يسىء إليهم، ويكشف عن طبيعتهم الخبيثة ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع، فلقد تكفل الله بحفظ القرآن الكريم معجزة الإسلام الباقية والمتجددة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

إن المسجد عليه دور كبير في إرهاب الوجود الإسرائيلي ثقافيا ومعنويا ونفسيا، فلو أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وعلماءهم، علموا الناس ما ينبغي أن يعلموه عن اليهود وطبيعتهم اللثيمة وخداعهم ونفاقهم وما جاء به القرآن الكريم من توضيح وتفصيل بشأنهم، لكان ذلك خط دفاع منيعا أمام مجتمع العدو الذي يعلم أبناءه من الصغر تعاليم التلمود وبث الكراهية، وأن قتل غير اليهودي هو قرينة إلى إلههم.

واتضح الآن لماذا كان حرص إسرائيل على اتفاقية ثقافية في اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٨، لكي لا يقوم المسجد بواجبه نحو فضح العدو الصهيوني بما قال الله وقال الرسول في شأنهم من كشف عوراتهم وسوءاتهم والدعاء عليهم بما يستحقون.

وإني مازلت أذكر أنه في حرب العاشر من رمضان، وفي يوم ١٢ أكتوبر على وجه التحديد وكان يوم الجمعة، وكانت الصلاة في المسجد الجامع الأزهر الشريف، رأيت أنه من المناسب أن نتواجد في هذه المناسبة والحرب مازالت في أيامها المجيدة، فتوجهت إلى قصر الطاهرة، حيث كان يقيم أنور السادات وطلبت منه أن يحضر

للصلاة، ليكون في حضورنا مساندة معنوية كما حدث في عام ١٩٥٦، عندما اعتلى جمال عبدالناصر المنبر محرضاً على القتال من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع . . فالحرب ليست بالأسلحة فحسب، ولكن أيضاً بالإثارة والتحريض لرفع معنويات الجنود والاتجاه إلى الله طلباً لعونه ونصره . فقال إنه سيصلى في الزاوية التي إلى جوار القصر، فوجدت من واجبي أن أتواجد مع المصلين، لنكون مع الناس مشاركين ولنراهم ويروننا، فعندما دخلت المسجد وكان الشيخ عبدالحليم محمود - رحمه الله - قد اعتلى المنبر ارتفع صوت المصلين بالتهليل والتكبير، وما أن انتهت الصلاة حتى تزايد تكبيرهم وحماسهم، وطلبوا وأصرروا أن أتحدث إليهم، وباءت محاولاتي بالاعتذار بالفضل، ولم أفلح في إقناعهم بالاكْتفاء بما سمعوه في خطبة الجمعة فزاد إصرارهم وتصميمهم، فلم يكن من سبيل إلا الاستجابة لطلبهم، فاعتليت المنبر حتى الدرجة الثالثة ليروني وتكلمت مع هذا الحشد.

وكانت الإذاعة على الهواء والجنود على الجبهة يستمعون، وقلوب الناس مع كل كلمة، ولم تتجاوز كلمتي السبع دقائق، ولكنها كانت كلمات من القلب وكأنها مدد من الله صاحب الفضل، ووجهت خطابي إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مستعينا بالله ورسوله وأرواح شهداء بدر، ثم تضرعاً إلى الله طلباً للنصر والتأييد، وانتهيت بالدعاء على الأعداء من اليهود والناس من ورائي تؤمن مع كل دعاء . . اهتزت له أرجاء المسجد،

وكان من بين كلمات الدعاء التي جاءت عفو الخاطر «اللهم يا مالك الملك يا من بيدك ملكوت كل شيء نتوسل إليك برسولك الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - أن ترفع الغمة وتنصر الأمة وأن تجمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتؤلف بين قلوبهم وتجعلهم كلا على من عاداهم، وتقطع دابر الكافرين وتمنع أذاهم، اللهم فرق شملهم وشتت جمعهم، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم وخرّب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين كما وعدت، اللهم اجعل تدبيرهم، تدميرهم واجعل بأسهم بينهم شديدا واجعل قلوبهم شتى، اللهم باعد بينهم وبين من يساندونهم، ورد كيدهم في نحورهم واشدد على قلوبهم واطمس على أموالهم واجعلها غنيمة للمسلمين إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير»، والناس تؤمن مع كل دعاء بصوت تجاوز عنان السماء.

والشيء بالشيء يذكر أنه عندما قمنا بالعمرة في شهر شعبان، وكان ذلك بعد وفاة ابني القبطان أحمد حسين الشافعي في ٢٠ جمادى الأولى الموافق ٢٠ أغسطس ٢٠٠٠، وكانت مشاعر الغضب على اليهود على انتهاكاتهم وبغيهم على أهلنا وأولادنا في فلسطين قد بلغت أقصى الحدود، وكنت أنا والدته نستمع إلى دعاء الإمام في صلاة الفجر في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة على اليهود، دعاء يدمى القلوب ويطلق العبرات والدموع، وترتفع الحناجر بالدعاء في ابتهال وتضرع، فكنت أشعر بنشوة لأن في ذلك حشدا لمشاعر الكراهية؛ لأن هذا هو أول الطريق لإرهاق الوجود الإسرائيلي ثقافيا

ومعنويا ونفسيا، وأكاد أتصور حالهم إذا سمعوا هذه الأصوات لأنهم بالقطع سيتملكهم الفزع والرعب، وقد يكون من بين المصلين من يستجاب له الدعاء، وإنى أكاد أتصور أنه لو تكرر مثل هذا الدعاء فى كل مسجد سيشكل ذلك إرهاقا معنويا رهيبا على العدو، وحشدا لمشاعر العداء الواجبة ضد هذا الوجود الغاشم.

وأصدق دليل على رعب اليهود من مثل هذا الدعاء هو ما قالته إذاعة إسرائيل عقب إلقاء كلمتى فى الأزهر يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ ودعائى عليهم أن قالت ما معناه: هل يتصور نائب الرئيس حسين الشافعى أنه سيهزمنا بالدعاء؟

وفى موسم الحج الماضى طلبنا إلى بعض من نعرفهم من الحجيج أن يستمعوا جيدا لدعاء الفجر فى كل من مكة والمدينة، والدعاء على اليهود بالذات، وعند عودتهم قالوا لم نسمع أى دعاء على اليهود فى موسم الحج، بينما هذه المناسبة التى يتجمع فيها المسلمون من كل بقاع الأرض هى الأوقع والأكثر تأثيرا وشمولا، فهل انسحبت الاتفاقية الثقافية فى كامب ديفيد على بقية بلاد العرب والمسلمين؟ رحماك يا رب.. اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا وخذ بيدنا وشد من أزرنا، فلقد أذل الحرص أعناق الرجال.

٥- علمياً

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٨٢) ويقول كذلك : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة : ٢٥٥) ويقول : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه : ١١٤).

عندما بدأت فى تناول موضوع إرهاب الوجود الإسرائيلى علمياً تذكرت أنه قد جاءنى كتاب من صديق فى عام ١٩٦١ ، وكنت نائباً لرئيس الجمهورية ووزيراً للأوقاف وشئون الأزهر . . كان عنوان الكتاب «الحكومة الخفية» The Hidden Government ، وكان هذا الصديق قد حصل على هذا الكتاب من أحد الضباط الإنجليز أثناء الحرب العالمية ١٩٣٩-١٩٤٥ ، وكان قد وصانى أن أعيده إليه لأنها النسخة الوحيدة .

قرأت الكتاب وهو كتاب لا تتجاوز صفحاته المائة صفحة من الحجم الصغير .

وكاتب هذا الكتاب كان ضابطاً بالجيش البريطانى ، حارب فى حرب البوير فى جنوب أفريقيا ، ثم فى حرب السودان التى أصيب فيها إصابة أخرجه من الخدمة لعدم اللياقة . . والذى دفعه لكتابة هذا الكتاب أنه وهو يتابع مسار بعض القرارات لشخصيات يثق فى

إخلاصها ونزاهتها ، لاحظ أن هذه القرارات تُغير مسارها وتنحرف عن مضمونها . . وعندما يسأل لماذا انحرفت عن مسارها ، كان يتلقى إجابة واحدة إن المسار قد تغير استجابة للخطة it was changed according to plan ، وبالسؤال عن مضمون الخطة ومن هم من ورائها علم أن الصهيونية هي التى من وراء الخطة . . وملخص الخطة هو تجميع الذهب والأموال من أى مصدر وبأى وسيلة لتشتري الكلمة بامتلاك دور النشر والتحكم فى وسائل الإعلام ؛ للسيطرة على العقول وفرض الحقيقة التى تعبر عن مصالحهم وتديرهم .

وبالإغراق الإعلامى الذى يملكون وسائله تقف الحقيقة مترددة مرتعشة لا تقوى على التعبير أو الإعلان عن نفسها .

ولقد اتخذت الحركة الصهيونية الحية شعارا لها تتحرك فى الخفاء لاتسمع لها صوتا ، حتى تتمكن من فريستها ، ويقولون إنه عندما يلتقى ذنب الحية برأسها باحتلال القدس يكونون قد نجحوا فى تحقيق هدفهم الأول وهو القضاء على المسيحية كخطوة فى طريق القضاء على الدين ، الذى يعتبرونه العقبة التى تقف دون تحقيقهم لأهدافهم الخبيثة .

والكاتب يقول إنه يكتب بأسلوب مباشر وبسيط ليدرك رجل الشارع حجم الخطر الذى يراده ، فإنه تحذير وإيقاظ للغافلين من مواطنيه نحو هذا التخطيط الشيطانى . . إن هذا الأسلوب الشيطانى هو الذى أعطى لليهود بعددهم القليل الذى لا يتجاوز الـ ١٥ مليوناً

هذه القوة الخادعة، فسيطروا بالمال الحرام الذى اقترفوه، ثم هددوا وابتزوا بإعلامهم وعدوانهم، وذلك فى غفلة من المسلمين الذين ضلوا طريقهم وغاب عنهم منهج السماء الذى انتصروا به فى صدر الإسلام. . هذا المنهج الذى يمنع الربا ويأمر بإنفاق الأموال فى سبيل الله وعدم اكتنازها، ويحرم الخمر والميسر ويقيم الحد على القاتل والزانية والزانى والسارق وشاهد الزور، وبذلك يؤمن النفس على مالها وعرضها وحياتها، فيحميها من أسلوب اليهود الشيطانى .

ولذلك فهناك علم يؤدي إلى سيطرة الشيطان، وهناك علم يؤدي إلى إشاعة الحق وعبادة الرحمن، ولذلك كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستعيز بالله من علم لا ينفع، وقد أيقن منذ البداية عندما جاءه جبريل - عليه السلام - وقال قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ (٦) أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (العلق: ١ - ٨) .

فالعالم بلا رحمة يؤدي إلى البغى كما قال الله فى شأن قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (القصص: ٧٦) . . ويقول الحق تبارك وتعالى فى شأن المال وضرورة إنفاقه فى سبيل الله لكى تتحقق الرحمة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧) .

والطاغوت والبغى والظلم يبدأ كنتيجة لتكديس الأموال واكتنازها وحبسها عن خلق الله، فيعم الفقر والجوع والبطالة ويتفشى الفساد ويعم الطمع والجشع وتنحسر الرحمة؛ فيزداد الفقراء فقرا ويزداد الأغنياء غنى عندما يكون العلم بلا رحمة والرأسمالية بلا قيم أو أخلاق . . وصدق الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل: ١١٨) . . فمن هم أعداء منهج السماء؟ هم اليهود والذين أشركوا تأكيداً لقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢).

وبذلك يتضح أن الإسلام ومنهج السماء هو أكثر ما يخشاه اليهود، وأن إرهاب الوجود الإسرائيلي علمياً ليس مجاله منافستهم في بغيتهم وانحرافهم، ولكن هو في إحياء تعاليم السماء التي تحرم الربا وتحث على الإنفاق في سبيل الله على أن المال هو مال الله، والمستخلفون في هذا المال عليهم أن يبادروا بإنفاقه في سبيل الله ليعم الخير وتنعم البشرية بالعدل والخير والرحمة تصديقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤)، ولكن اليهود اعتادوا العيش في مجتمعهم المغلق عليهم «الجيتو»، لكي يباشروا تعاليمهم الشريرة في الظلام فهم أعداء النور كالبوم والخفافيش وإبليس . . ويصفهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

إن هدف الإسلام هو تحقيق الرحمة للفرد والمجتمع والبشرية
فقد كتب سبحانه على نفسه الرحمة، وقال في شأن رسوله: ﴿وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وهو سبحانه الرحمن
الرحيم.

إن بعض الناس يتصورون الرحمة على أنها لين ولطف وتسامح
ومحبة، فتكون في نظرتهم المحدودة من سمات الضعف وهم
يتطلعون إلى القوة. . علما بأن الرحمة هي أعلى مراتب القوة،
ولكنها القوة الخيرة القوة البناءة، وليست القوة المفسدة الشريرة
الطماعة والظالمة والحقودة والمدمرة. وأن الله الرحمن الرحيم هو
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وهو القوى
وهو العزيز الحكيم.

ولو كانت القوة التي تتفاخر بها حضارة اليوم من اقتراف
للأموال، وظلم للعباد، وإفكار للشعوب، واستئثار بخيرات الدنيا،
وتبديد للأموال، والإنفاق السفيف والتبذير فيما لا يفيد البشرية،
وامتلاك لأسلحة الدمار الشامل من قنابل ذرية وهيدروجينية
وصواريخ عابرة للقارات وأقمار صناعية تلوث الفضاء، هي علامة
رضا من الله وتفضيل من الخالق، لكان رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - هو الأحق بها. . ولكنهم بهذا كله يكاد لسان حالهم
يقول كما قال فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٢٤). .
وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ
طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهِ إِلَّا أَن تَرْكَى (١٨)

وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْكَبِيرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١)
ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ
نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿ (النازعات :
١٥ - ٢٦) ويقول الله فى شأن هذه الأموال التى جمعت من
الظلم للتحكم والاستكبار والاستعلاء : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ
كَافِرُونَ ﴾ (التوبة : ٥٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ
مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا
يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (النحل : ٦١) .

إن الله اختص رسوله - صلى الله عليه وسلم - بما هو أقوى من كل
أموالهم الحرام وأسلحتهم المدمرة . . اختصه وهو الرحمة المهداة
والنعمة المسداة بما هو أقوى وأرحم وأجدى وأنفع من قنابلهم
وصواريخهم . . اختصه بمعجزة المعجزات ومنهج السماء ، فأُنزل عليه
القرآن الذى أحيا به أمة من الموت : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) . .
فأعطاهم مقاليد القيادة لمنهج السماء .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

لكل ذلك كان العداء للإسلام عداء مركبا ، وكذلك العداء للقرآن
الذى يكشف باطلهم ويفضح ما تمرسوا عليه من التغيير والتحريف

فى التوراة والإنجيل ، كما يقرر القرآن فى قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة : ٧٨ ، ٧٩) .

إن العلم النافع نعمة ، والعلم الذى يستهدف الظلم والبغى والطغيان نقمة وضياع . .

وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

(أ) ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (آل عمران : ١٩) .

(ب) ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى : ١٤) .

(ج) ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (الجنات : ١٧) .

وما كان العلماء من اليهود إلا أصحاب العلم المضلل الذى استعاذ منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كعلم لا ينفع من أمثال فرويد وداروين وكارل ماركس وأينشتاين ، وكلها علوم لإشاعة الفرقة والبلبلة والتشكيك فيما جاءت به الكتب السماوية ؛ لإفساح المجال لمخططاتهم الخبيثة ومكرهم السيئ وفكرهم المنحرف ؛ ليسود ويسيطر . . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

ولن نستطيع أن نجاريهم فى مضمار علومهم المنحرفة وسبيلنا

لإرهاق هذا الوجود الشيطاني ، وذلك الانتشار السرطاني هو التمسك بمنهج السماء ؛ لنعيد إخراج خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله وتسليط الأضواء على جرائمهم وفضح كذبهم وكشف تأمرهم وعدوانهم . . وهذه معركة تحتاج النصر الذي هو من عند الله مرددين : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء : ٨١) .

ونكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - وعلى آله وأصحابه وأنصاره ، وكل من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين .

٦- فكرياً

الكلمة قدر وأمانة ومسئولية، وكذلك لقاءنا اليوم قدر وأمانة ومسئولية، وبكل ما مر بنا من تجارب، وكل ما يجول بنا من خواطر أجد نفسى مقيدا فى اختيار التجربة والخاطر الذى يتناسب مع الظروف والأوضاع التى يمر بها العالم الإسلامى ونواته التى تتكلم بلغة القرآن الكريم، ألا وهى البلاد العربية من الخليج إلى المحيط .

الهدف: إن أردنا النجاة والفوز والفلاح فنبغى أن ندخل البيوت من أبوابها، نتكلم بصراحة بلا مجاملة ولا مساومة ولا نفاق أو استجداء حتى يكون الصدق مدخلا للقضاء على اليأس والإحباط واستعادة للثقة وتجديدا للأمل .

حال المسلمين: أصبحنا فى حال لا نحسد عليه من خسف وإيذاء وإذلال حتى صدق قول الله فىنا، وبهذا السؤال الاستنكارى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨)، وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل» .

إرادة التغيير لتحرير الإرادة: أصبح الأمر لا يحتمل التسويف أو الانتظار، لكى نحدد هدفاً نلتف حوله ونعمل على تحقيقه؛ حيث إن

النجاح فى تحديد الهدف هو نصف الطريق إلى النجاح والنصف الآخر هو فى الإصرار على وضعه موضع التنفيذ والمحافظة على تحقيقه فى عزم وإصرار .

فما هو الهدف؟ قلبت الأمر بينى وبين نفسى فلم أجد خيراً من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠) .

المبادأة: إن أقصى ما يتمناه القائد هو أن يستحوذ على المبادأة، لأنه طالما كانت المبادأة فى يد أعدائنا فعملنا سيبقى خاضعاً لإرادتهم، وإننى أتساءل كيف حصل المسلمون المؤمنون الأولون على المبادأة؟

إن المبادأة لم تكن مبادأة بشر، ولكن كانت مبادأة السماء عندما اختار الله تعالى واصطفى القائد الأسوة الحسنة بإذنه وتوقيته .

وهل نقف منتظرين مبادأة السماء مرة أخرى؟

كلا لا ينبغى الانتظار؛ حيث إن محمد بن عبد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو من لا نبى بعده تمت به النعمة وكُملت به رسالة الإسلام بمنهجها الذى ارتضاه الله ليحيى به الأمة .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) .

المنهج: ولقد وضعت هذه الرسالة بمنهجها موضع التنفيذ بلا خوارق ولا معجزات، وأثبتت التجربة نجاحها المبهر فى ظروف

غاية فى الصعوبة والشدة، صحراء جدباء بواد غير ذى زرع، تسكنها قبائل متناحرة، يتقاتلون فى حمية الجاهلية لأتفه الأسباب ويثدون البنات.

والرسول القائد ولد يتيماً وفقيراً قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (الضحى: ٦-٨).

الإخراج: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، والإخراج يمكن أن يتكرر طالما أن المنهج وأدواته موجودة وميسرة، وهى القرآن والسنة (حديث الرسول): «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى» والقرآن يؤكد على لسان الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

صدق الإيمان: فإن صدق الإيمان وخلصت النية وتوافرت القدوة والعزم، فالمنهج قابل لإعادة الإخراج.

المسئولية: ينبغى أن ندرك بعد ذلك حجم المسئولية التى فى أعناقنا كمسلمين وعرب نتكلم بلغة القرآن.

حجة الوداع: فليبلغ الحاضر منكم الغائب.

الأمة الوسط: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

الفاستقون: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٧).

الهدف مرة أخرى: بعد هذه المقدمة نستطيع أن نتعرض للهدف الذى يقع فى نطاق مسئوليتنا وكيف يمكن تحقيقه بعون من الله وإذنه: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

أول العوامل: أول العوامل فى تقدير الموقف هو مناقشة قواتنا وقوات العدو ونبدأ باستعراض قواتنا أولاً لتكون لنا المبادأة من أول الأمر .

قواتنا: إيماننا بالله هو سلاحنا الذى لا يغلب ، فإن الله يساعد من يؤمن به ويثق فى قدرته بلا شك أو ارتياب ، فقد أيد وساعد المؤمنين بقدر إيمانهم ، فأيد بجنود كما فى غار حراء ، كما أيد بإنزال السكينة كما جاء فى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة: ٤٠) ، كما أيد بجدد من الملائكة .

٣٠٠٠ منزليين - (آل عمران: ١٢٤) .

٥٠٠٠ مسومين - (آل عمران: ١٢٥) .

١٠٠٠ مردفين - (الأنفال: ٩) .

النصر في بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣).

الرعب: كما يؤيد بإلقاء الرعب في قلوب الأعداء .

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْتِي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢)، وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «نصرت بالرعب على مسيرة شهر» .

الحرب النفسية: قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (الأنفال: ٤٤) .

﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَتَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الأنفال: ٤٣) .

آيات: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (الملك: ٢٠) . وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٠) .

دليل حي: لقد تجلّى الله سبحانه وتعالى علينا عندما هزلنا وكبرنا في العاشر من رمضان، ليقول لنا إنه موجود وقادر بعد أن أعددنا منذ ١٩٦٧، كل ما نستطيع من إعادة بناء الجيش، وإقامة حائط

الصواريخ، وبدء حرب الاستنزاف، ولو استمر الارتباط بالله
لاختلفت النتائج النهائية.

إن كل هذه القدرات الربانية الهائلة ليست للمسلمين، ولكن
للمؤمنين العاملين وهي تعود بنا لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا
قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾
(الحجرات: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ
الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات: ١٥).

المحك الحقيقي للإيمان: الجهاد بالمال والنفس - المية تكذب
الغطاس.

التكليف المادي: قد أكون قد تجاوزت في ذكر المدد الإلهي، وحتى
لا يتصور أحد أن هذا يغني عن الإعداد والاستعداد المادي والمعنوي،
ولكن مع الإعداد بكل ما نستطيع لن يكون النصر إلا بذكر الله
والارتباط بحبله المتين: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ
الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠).

عدل الله : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

مصادر قوتنا: إن أي تقدير موقف سياسي أو استراتيجي يلجأ إلى
تجميع إمكانيات الدول العربية في مواجهة إسرائيل، لا يمكن أن يعبر
عن حقيقة تلك الإمكانيات بالنسبة لموقفنا الحاضر.

ومع ذلك فإنني سألجأ إلى استعراض إمكانيات العرب المادية

ومقارنتها بإمكانيات إسرائيل لكي أوضح أن العيب فينا (الأنظمة العربية القائمة)، وأنه يجب علينا أن نبدأ بإصلاح أنفسنا، حتى نستطيع أن نستثمر ما حبانا الله به من إمكانيات ضخمة في صراعنا مع إسرائيل.

المعارك العسكرية التقليدية: إننا نستدرج في معارك عسكرية تقليدية سريعة يستخدم فيها العدو التفوق في نوعية السلاح الذي تملكه به الدول التي تخشى من التفوق العربي في الإمكانيات المادية والمعنوية على المدى البعيد؛ فيحققون نصرا سريعا يزيدهم غرورا وصلفا وتكبرا ويزيدنا إحباطا ويأسا.

إرهاق الوجود الإسرائيلي: وقد آن الأوان أن نستدرجهم نحن إلى معركة غير تقليدية وغير نظامية وفدائية، ويكون شعارنا إرهاق الوجود الإسرائيلي فدائياً - واقتصادياً - وفكرياً - وعلمياً - وثقافياً - وسياسياً مع وضع خطة لكل مجال من هذه المجالات، ولنا من مواردنا ما يكفل التفوق، وما أن تبدأ مصر طريق الجهاد ستجد الجميع يتبعها، ولنا من حرب الاستنزاف، وانتفاضة الحجارة، والمقاومة في لبنان... خير دليل.

عناصر القوة الاستراتيجية: إن عناصر القوة الاستراتيجية لأي دولة أو أمة تقاس بعناصر ثلاثة رئيسة، العنصر الأول: هو القوة البشرية، والعنصر الثاني: هو اتساع الإقليم، والعنصر الثالث: هو الثروات الطبيعية.

القوة البشرية: يتفوق عدد العرب على عدد اليهود في إسرائيل «الأرض المحتلة من فلسطين» بنسبة ٥٤ : ١ وإذا كان علينا أن نعترف بأن الفرد اليهودي يتفوق على الفرد العربي في المجال العلمي والتكنولوجي ، فإن ذلك يعتبر مرضاً مؤقتاً يمكن التغلب عليه على مر السنين . . كما أن التفوق العددي في جانب العرب يمكن أن يكون أحياناً بديلاً للتفوق النوعي الإسرائيلي المرحلي .

اتساع الإقليم: مساحة الوطن العربي ١٤ مليون كيلو متر مربع ، في حين أن مساحة إسرائيل داخل خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ هو ٢٠٧٠٠ كم ٢ أى أن العرب يتفوقون على إسرائيل في هذا المجال بنسبة ٦٧٦ : ١ .

- ويبلغ طول السواحل العربية ٢٢١٩٥ مما يتيح لها منطقة اقتصادية داخل البحار والمحيطات التي نشرف عليها تبلغ مساحتها ٣ ملايين كيلو متر مربع أخرى . . في حين أن إجمالي مساحة الشواطئ الإسرائيلية لا يزيد على ١٨٠ كيلو متراً .

الثروات الطبيعية: لقد حبا الله الدول العربية بثروات طبيعية هائلة من الماء والنفط والمعادن . . ويكفى أن نعلم أن ثلثي احتياطي النفط في العالم مختزن في أراضي الدول العربية والإسلامية . وأنه بحلول عام ٢٠٣٠ إذا افترضنا عدم ظهور اكتشافات جديدة . فإن النفط سينضب من جميع دول العالم ، إلا من خمس دول إسلامية هي السعودية ، الإمارات العربية ، الكويت ، العراق ، إيران .

● وإذا كانت الدول العربية لم تنجح بعد فى استثمار وترشيد استخدام مواردها المائية . وإذا كانت الدول العربية لم تنجح بعد فى استخراج الكنوز المعدنية التى تخرّبها أراضيها . فإن ذلك لا يعنى سوى أن الأرض العربية مازالت بكرًا فى انتظار من يتزاورج معها ويستخرج خيراتها، وعلى سبيل المثال، فإن فى السودان وحده ٢٠٠ مليون فدان يمكن استزراعها، وإنه لو تحقق ذلك، فإن السودان لا يصبح سلة الطعام للدول العربية فحسب، بل وسلة الطعام أيضا لأوربا .

● فإذا نظرنا إلى إسرائيل فإن ثرواتها الطبيعية تكاد تكون معدومة . . فلا نفط ولا معادن، ولكن قليلا من الماء وتبلغ الموارد المائية فى إسرائيل ٢٠٠٠ مليون متر مكعب من المياه يعيش عليها أكثر من ٦ ملايين من البشر «٨٤٤, ٤ مليون يهودى + ٢, ١ مليون عربى» وهى لذلك تعيش تحت خط الفقر المائى . . مما يجعلها دائما تطمع فى الثوب إلى الأراضى التى تتمتع بمصادر مياه . . ولعل هذا يجعلنا ننظر بقلق إلى الجهود المصرية التى تبذل من أجل إيصال مياه النيل إلى سيناء .

القدرة الإنتاجية: وبالرغم من هذه الإمكانيات الهائلة التى تؤهل الدول العربية لأن تكون فى مقدمة شعوب العالم إلا أنه للأسف الشديد، فإننا نعتبر من أقل الدول إنتاجا، فإذا ما استبعدنا الدول النفطية؛ حيث إن إنتاج النفط لا يحتاج إلى مجهود بشرى يذكر، فإن متوسط دخل الفرد فى الدول العربية غير النفطية هو حوالى

١٠٠٠ دولار، بينما يصل في إسرائيل إلى أكثر من ٢٠٠٠٠ دولار، وهذا يعنى أن إنتاج الفرد الإسرائيلى يعادل ما ينتجه ٢٠ فردا عربيا . . ويجب أن يدفعنا ذلك إلى ضرورة تأهيل الفرد العربى والأخذ بوسائل الإنتاج العلمية الحديثة .

الإعداد الإيماني: إن الإعداد الإيماني لا يقل فى أثره عن الإعداد المادى إن لم يكن يفوقه، ولكننا أسقطناه من حساباتنا، حتى أن البعض يعتبره نوعا من القدرية أو التحليق فى اللاملموس .

قضى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ١٣ سنة فى مكة كانت بمثابة التركيز على كلمة التوحيد، حتى أصبح المؤمن مهيتاً لكل أنواع البذل بالمال والنفس، فجاهدوا وهاجروا دليلاً على صدق الإيمان .

تحقق فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة: ١١١) . وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠) .

يقول عمر بن الخطاب وهو يخاطب القادة والجنود: «إن عدوكم يفوقكم عددا وعدة ولا تمتازون عليه إلا بإيمانكم فحافظوا على صلواتكم، فإن تركها أخوف عليكم من عدوكم» .

الاستنتاج: ينبغى أن تنعكس كل هذه المعانى وتلك القيم فى تعليمنا وإعلامنا وفكرنا ومبادئنا والمثل والقدوة التى نعطيها لشبابنا .

١- بشارات التأييد: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال ٦٢ ، ٦٣).

قصة الثورة في تأليف القلوب

٢- إنزال السكينة: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

ما حدث في ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢: إن مشاركتي في ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت جزءاً من قدر الله فسبحانه الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وسبحانه القائل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

كان جمال عبدالناصر مشغولاً بعدد المنضمين إلى تنظيم الضباط الأحرار، وكان المقياس لديه هو حجم ما يُحصَل من الاشتراكات التي كانت حصيلتها تستخدم في طباعة المنشورات أو مساعدة من يقع عليه ضرر بسبب انضمامه للتنظيم، ولكن المقياس عندي كان ارتباط القلوب الذي شهدته عند عودتي إلى سلاح الفرسان بعد انتهاء انتدابي في إدارة الجيش في ٢٠ أكتوبر ١٩٥١، حيث لحقت بالكتيبة

الأولى سيارات مدرعة عند الكيلو ٤٠ في طريق السويس ، فى اليوم التالى والذى التقيت فيه هناك بمجموعة الضباط الملازمين المتخرجين من الكلية الحربية فى عام ١٩٥٠ ، وفى نفس النشرة التى رقيت فيها لرتبة البكباشى (المقدم) . وكان لقاء قد تألفت فيه القلوب وتأكدت فيه الثقة بينى وبينهم . . مما دفعنى أن أقول لجمال عبدالناصر إن الموضوع أكبر من الاشتراكات وإنى أعدك ألا تتخلف وحدة واحدة فى سلاح الفرسان : (دباباته وسياراته المدرعة وخيوله) عن المشاركة الفعالة لنجاح الثورة ، وأرجو أن تطمئن وتوكل على الله و«حط فى بطنك بطيخة صيفى» كما يقول المثل .

السكينة: لقد تجلت السكينة والاطمئنان بالنسبة لكل من شارك معى ، ولكن دعونى أصف لكم مجموعة المشاعر والأحاسيس التى مررت بها عند تنفيذ دورى فى الثورة من الساعة ١٤٣٠ يوم ٢٢ يوليو إلى فجر يوم ٢٣ يوليو .

الأسوة الحسنة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب : ٢١) فى الحج والقتال .

إذن هو القائد فى حياته وبعد انتقاله فنحن لا نتأسى بأحد سواه وهذا يدفعنا إلى أن نرسم خطاه فى كل موقف نتعرض له إذا أردنا الفلاح والنجاح ، وما من موقف يمر بنا أو نتعرض له إلا ومر مثيله بالرسول القائد والقذوة - صلى الله عليه وسلم . . وما أشبه ظروفنا

بما نمر به هذه الأيام : غزوة الأحزاب والخذق بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ . . . بنى قريظة - بنى النضير - بنى قينقاع . ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب : ٢٢) .

المفاجأة السياسية - المفاجأة العسكرية - مفاجأة الريح :

ما أشبه اليوم بالبارحة : واليوم نرى اليهود كما لو كانت قد خلت لهم الساحة يسيطرون على الإعلام والاقتصاد والسياسة والقوة ؛ لأن العالم ينافقهم : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر : ١١-١٤) .

معاهدة كامب ديفيد : عارضتها منذ البداية ، وتضررنا من نتائجها وأبعادها ، واعتبرناها تسليما بلا قيد أو شرط من كبرى الدول العربية ، وما زالت أرضنا محتلة وفيها تجميد لدور مصر النضالي الرائد ، وأصبحت سيناء منطقة منزوعة السلاح فيما عدا

الوجود بفرقة واحدة لا يتجاوز نطاق عملها ٥٠ كيلو مترا شرق القناة لا تستطيع أن تدافع عن نفسها ولا عن سيناء ولا عن مصر . كما تضمنت اتفاقية تجارية تكون مدخلا وسندا للسيطرة الاقتصادية . ثم اتفاقية ثقافية لحماية إسرائيل مما يكشف فيه القرآن الكريم عن مكرهم وخداعهم وضلالهم ونقضهم لكل عهد ، وأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا . كما تتضمن إسقاط التضامن العربى لكل ما يتعارض مع مصلحة إسرائيل .

الإعلام: قد أصبح الإعلام المعادى من أشد الأسلحة التى تعمل على طمس الحقائق وتثييط الهمم وإشاعة روح اليأس والاستسلام .

الاستنتاج: ضرورة وضع خطة لمواجهة هذا الخطر ، وحتى لا تكون أجهزتنا التى ينفق عليها الكثير ، مسخرة فى خدمة اتجاهات العولمة والتعبير عن وجهة نظر الدول التى تؤيد وتساند وتناقض إسرائيل .

القوى الكبرى: انتهت مرحلة استغلال التناقضات بين الدول الكبرى بعد أن تأكد الوفاق بينها وبعد أن انفردت أمريكا بالقطبية المطلقة .

استنتاج: الارتباط المطلق بالأكبر وهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد بكل ما يمثله هذا الشعار من أدب والتزام وتكاليف ومسئولية وحق .

مقارنة بين القوى المادية بين العرب وإسرائيل يناير ١٩٩٩

المقارنة		إسرائيل	العرب	
إسرائيل	عرب			
١	٥٠٥٨	٩٧٠٠٠	٥٤١٧٠٢	الإنتاج المحلي بملايين الدولارات
١	٥٣٠٧٢	٤٨٤٦	٢٦٠٣٤٣	عدد السكان اليهود بـالآلاف
١	٥٠٧٩	٧٠٠٠	٤٠٥٨٣	الإنفاق العسكري بملايين الدولارات
١	٤٠٤٧	٤٣٠٠	١٩٢٠٤	عدد الدبابات
١	١٩٠١٩	٤٠٠	٧٦٧٨	عدد المدافع المجروزة
١	٢٠٢٧	١١٥٠	٢٦١٣	عدد مدافع ذاتية الحركة
١	٢٦٠٣٢	١٠٠	٢٦٣٢	عدد الراجمات
١	٣٠٣١	١١٤٠	٣٧٦٩	عدد الهاونات الثقيلة
١	٥٠٩٨	٢٧٩٠	١٦٦٩٢	إجمالي قطع المدفعية
١	٤٠٣٧	٧٢٤	٣١٦٨	طائرات القتال
١	٤٠٨٥	١٣٧	٦٦٤	طائرات هليكوبتر مسلحة

قصة أبي بكر وعمر : كان أبو بكر -رضي الله عنه- يحارب من يمتنعون عن دفع الزكاة ، فراجعهم عمر -رضي الله عنه- مستنكراً : «كيف تقاتل قوما يقولون لا إله إلا الله» فرد عليه أبو بكر حاسماً : «إلا بحققها يا عمر ، والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقاتلتهم من أجله ، أجبار في الجاهلية خوَّار في الإسلام يا عمر ؟! » .

مصر كنانة الله: مطموح فيها لمكانتها ووزنها ، فهي المكان القائد الذي تتصارع عليه القوى الكبرى من يكون له السبق بالفوز به .

استنتاج: رفع شعار لا إله إلا الله مع الاستعانة بالله والتوكل عليه ، مع العمل الجاد المخلص ، وقد مرت بمصر أحداث ومحن وابتلاءات ، وكان النصر حليفها في النهاية في طرد الصليبيين والتتار ، فهي الكنانة سهامها لا تنضب ، وصبرها لا يتهي ، وإيمانها عميق ، والله أكبر من كل كبير .

لقد اختلفت صورة العدو بعد هذه التطورات بعد أن كان مجسماً في قوات الاحتلال ، وأصبحت له صور وأشكال متعددة . ولذلك فعندما نناقش قوات العدو فهو العدو بكل ما يمثله مهما تلون أو تشكل -عدوا ظاهراً ملموساً أو عدواً متخفياً مدسوساً -عدوا مباشراً أو عميلاً منديساً ومتستراً ، وقد يكون كفراً واضحاً أو نفاقاً خادعاً أو يأتي في صورة نصيحة قاتلة أو آراء وأفكار فاشلة ، وذلك في كل مجالات الحياة -اجتماعاً ، اقتصاداً ، دفاعاً ، استعداداً -ثقافة وتجارة وعمارة وصناعة وزراعة وفكر وعلماء ،

ولإعلاما في كل نواحي الحياة والنشاط على اختلافها، وبذلك يكون رأس الموضوع واحدا . فإذا أصبح رأس الموضوع واحدا وهو إعلاء كلمة الله تحقيقا لمصلحة الوطن وتحريرا لإرادته أصبحت بالتالي جميع أنشطة الحياة روافدا لأصل واحد، أما إذا ضاع رأس الموضوع فهو الضياع في كل موضوع .

اليهود: «كتاب الحكومة الخفية»: وقد ورد تفصيله في المقال السابق إرهاب الوجود الإسرائيلي علميا .

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢)، سلاحهم جمع الذهب ليشتروا به الكلمة . . يتسلطون بها على العقول من خلال دور النشر التي يمتلكون معظمها، وكذلك الصحافة التي يسيطرون عليها من خلال الإعلانات التي أصبحت عصب أي صحيفة للاستمرار .

غضب الله عليهم: غضب الله عليهم فشتتهم في الآفاق، وها هم يتحدّون هذا التشيت بمحاولتهم التجمع في فلسطين وهم لا يدركون أنهم مسخرون في هذا التجمع لتكون فيه نهايتهم .

غرور المال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (آل عمران: ١٨١) .

● كتاب أهداف جديدة لإسرائيل: مؤلفه آرييه آلياف .

● القوى الاستراتيجية للدول العربية وإسرائيل ١٩٩٩ .

العدو: بعد جلاء الإنجليز في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ للمرة الثانية في عام واحد - وحتى سنوات قليلة مضت ، كنا نعتبر أن الصهيونية العالمية وإسرائيل هما العدو الأول للعرب والمسلمين - وأن أمريكا والدول الغربية التي تساعد إسرائيل وتساندها في العدوان علينا هي أيضا عدو لنا . ولكن الموقف قد اختلف الآن كثيراً بعد أن أصبحت الغالبية العظمى من الدول العربية تتسابق في تطبيع علاقاتها مع إسرائيل وبعد أن أصبحت أمريكا ودول حلف الأطلسي تجاهر بأن العدو الأول للحلف بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، هو الإسلام السياسي كما يدعون .

فقد جاء على لسان المستر كلايس KLAES السكرتير العام لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في الخطاب الذي ألقاه على مجلس وزراء الحلف في يناير ١٩٩٥ ، أنه يحذر من المد الإسلامي الذي يهدد بالسيطرة على الحكم في الدول الإسلامية ، والذي في رأيه يهدد الثقافة الغربية والتقدم داخل المجتمعات الغربية ، وأنه يجب التصدي لهذا التيار .

وبالرغم من هذا الموقف العدائي المعلن من جانب أمريكا ومن جانب حلف الأطلسي وبالرغم من أن الممارسات الأمريكية تؤيد وتؤكد موقفها العدائي ضد العرب والمسلمين ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دعمها اللامحدود لإسرائيل ومساعدتها في إنتاج أسلحة التدمير الشامل ، في الوقت الذي تحرم فيه ذلك على جميع الدول العربية والإسلامية ، بل في الوقت الذي تفرض فيه

قيوداً شديدة على ما تملكه الدول العربية والإسلامية من أسلحة تقليدية تضمن لإسرائيل التفوق على الدول العربية وبالرغم من الحصار والضربات العسكرية التي توجهها أمريكا لكل من ليبيا والعراق والسودان . . . وبالرغم من علاقاتها المتدنية مع إيران وسوريا .

فإننا نجد أن كثيرا من الدول العربية والإسلامية توالى أمريكا، وتسمح لها بإنشاء قواعد عسكرية على أراضيها من أجل ضرب دول عربية شقيقة أخرى . وهم يدعون أحيانا أن موالاتهم لأمريكا لا تعنى صداقتهم لإسرائيل .

وهذا من وجهة نظرنا ليس صحيحا . . فصديق أمريكا هو بالضرورة صديق إسرائيل سواء اعترف بذلك أو لم يعترف .

وليس من قبيل الصدفة أن أكثر الدول صداقة لأمريكا هي أكثر الدول ملاحقة للجماعات الإسلامية التي تتبنى العمليات الفدائية ضد إسرائيل وضد أمريكا، وذلك تحت شعار ما يسمى بالتصدي للعمليات الإرهابية .

وفى ظل هذا التشردم العربى والإسلامى وفى ظل عدم الالتزام بالنصوص القرآنية التى تطالب المسلمين بعدم موالاة غير المسلمين واستعدادهم ضد إخوانهم المسلمين : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾

هَآ أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا
آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةً تَسْأَلُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا
بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾
(آل عمران ١١٨ - ١٢٠).

فإنه يجب علينا أن نعترف بأن الأنظمة العربية والإسلامية الحالية
تختلف فيما بينها حول تحديد من هو العدو ومن هو الصديق، فما
يمكن أن تعتبره دولة ما عدوا فهو بالنسبة للأخرى صديق، وما يمكن
أن تعتبره دولة ما صديقا فهو بالنسبة للأخرى عدو.

تعليق على الإنفاق العسكري

الإنفاق العسكري العربي يحتاج إلى ترشيد شديد في الدول
العربية الخليجية. فهذه الدول الست (السعودية، الكويت،
الإمارات، البحرين، قطر، عمان) وصل إنفاقها العسكري عام
١٩٩٨ إلى ٢٧٩٠٢ مليون دولار وهو ما يزيد قليلا على ثلثي
الإنفاق العسكري العربي. كما أنه يعادل أربعة أمثال الإنفاق
العسكري الإسرائيلي.

ولكن هذا الإنفاق لم يقابل بأي زيادة في القدرات القتالية لتلك
الدول؛ حيث إن إجمالي الأسلحة القتالية لتلك الدول لا تمثل سوى
٥, ٧٪ من الأسلحة العربية.

والخلاصة: إن العيب فينا وعلينا العمل على تغيير واقعنا وأننا نواجه معركتين وليست معركة واحدة. ويجب ألا نربط المعركتين ببعضهما.

أولاً: المعركة التي يفرضها الوجود الإسرائيلي.

ثانياً: المعركة في مواجهة الصراع بين القوى الكبرى وتنافسها في سباق من يفوز بهذا المكان القائد في مصر محور الأمة الوسط أما المعركة الأولى - فينبغي أن تكون بسياسة النفس الطويل، واستدراجها إلى مواجهة الشعوب العربية والإسلامية بعدها وإمكاناتها؛ وذلك برفع شعار جديد هو إرهاب الوجود الإسرائيلي فدائياً وليس عسكرياً. وإرهاب اقتصادي وسياسي وفكري وعلمي وثقافي بخطة تفصيلية لكل من هذه الماديات الستة.

أما المعركة الثانية: فنواجهها بالأنا نحتاج لأي من القوى الكبرى، فإنهم في النهاية يؤكدون الوفاق فيما بينهم لضربنا. كما حدث في ١٩٦٧، ولكن نؤكد الارتباط بالأكبر وهو الله القادر على نصرنا، إذا تعاهدنا على اتباع منهجه الذي هو وحده القادر على تحقيق النصر والفلاح.

الأمة الإسلامية وانبعاثها من جديد

إن ما تتعرض له الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها من قهر وإيذاء ومظالم وعدوان ، بلا مقدمات ولا أسباب ظاهرة ملموسة أو خفية مدسوسة ، يدفع بالعقل المسلم إلى التساؤل لمعرفة - على وجه التحديد - من هو العدو لإمكان مواجهته فليس هناك مجال للتهوين فى مثل هذا الأمر ؛ حيث إن العدوان على أى مسلم هو عدوان على المسلمين كافة ، وعليهم مسئولية مواجهة العدو مواجهة إسلامية شاملة تصديقا لقول الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة : ٣٦) . . ينبغى تحديد هذا العدو الذى هو من وراء كل هذا الغل وهذا الحقد الأسود والتصرف الأحق ، والبطش الذى تشابه مع بطش ثمود فى جبروته .

وأول التساؤلات تشير إلى من قال الله سبحانه فيهم : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (المائدة : ٨٢) . . هم اليهود والذين من ورائهم ، إن اليهود الذى كفروا من أهل الكتاب أصبحوا يمثلون العصاة الدولية والمافيا العالمية التى تمكنت واستحوذت على إرادة وعقول الغرب المسيحى الاستعمارى ، بالإغراق الإعلامى والابتزاز المالى والاقتصادى ، والتصفية الجسدية لكل من يقف ضد مخططاتهم الشيطانية .

وتدفعهم بكل هذه الوسائل لمعاداة الإسلام والمسلمين ، وتجدد في نفوس الغرب الاستعماري ذكريات الحروب الصليبية ، حتى أنها جاءت على لسان بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . . . إنهم يستغلون في ذلك تحكمهم في سوق المال الذي يقترفون جمعه من كل ما هو حرام من دعارة وخمور ومخدرات والربا الفاحش والإفساد الخلقي والمنعوى للمجتمعات للقضاء على روح المقاومة .

والمال يمكنهم من شراء الكلمة وشراء العملاء والضمائر فيتحكمون في الإعلام بكل صوره ، فيقلبون الحقائق بهذا الإغراق الإعلامي الذي جعلوا منه أهم أسلحتهم للابتزاز والتهديد .

تصديقا لقوله تعالى في شأنهم في هذا المجال : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة : ٤٢) . . . إنهم يريدون إقامة دولة الشيطان التي لا يمكن أن تتعايش مع دولة الإيمان التي تلتزم بمنهج السماء ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران : ١١٠) . . . إنهم لا يمكنهم أن ينسوا هزيمتهم على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإجلاءهم من يثرب وخيبر نتيجة غدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة : ١٠٠) . . . حتى أنهم أطلقوا على حرب ١٩٦٧ ، اسما كوديا هو خيبر تذكيرا وانتقاما وثأراً ، ولكن الله القوى . العزيز ، الحكيم ، الجبار ، المنتقم ، يقرر في كتابه العزيز :

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء : ٧٦) . . وقوله تعالى :
﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة : ١٩) .

التساؤل الثانى هل هذا الإيذاء الذى يقع على المسلمين هو تعبير
عن غضب الله علينا عندما أغفلنا منهج السماء الذى يضمن لنا
العزة والنصر ، وأدرنا له ظهورنا وأخذنا نتسول المناهج من هنا ومن
هناك ، وسرنا فى مواكب المنافقين فنبرر المسألة ونستجدى السلام
فى مأدبة اللثام تصديقا لقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ
لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ
وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
(١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ
نُصِرُوهُمْ لَيُبَيِّنَنَّ الْأُذْيَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ
مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر : ١١ - ١٤) .

وتركنا وغفلنا عن قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
«تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدأ كتاب الله وستى» .

التساؤل الثالث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ
أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة : ٢٨) .

والتساؤل هنا هل هذا الإيذاء الذى تباشره تلك القوى الغاشمة
المتجبرة هو تسخير من الله لإيقاظ المسلمين من غفلتهم وسباتهم ،
ليفيقوا وينهضوا ويتجمعوا معتصمين بالله فيرضى عنهم ، فيمدهم

بمدده وعونه ويعفو عنهم ، فيشملهم برحمته مرة أخرى فيحييهم
ويمكن لهم ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج : ٤١) . إن
هذا الإيذاء الذى لم يترك بلدا فى العالم الإسلامى من مشرقه إلى
مغربيه إلا وبه اعتداء . . فمن البوسنة والهرسك إلى كوسوفو ،
والألبان فى مقدونيا ، والشيشان والأفغان وكشمير وجنوب الفلبين ،
وفى العراق والسودان وفلسطين وليبيا ، وما يعانىه المسلمون فى أوربا
 وأمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى كل من نيويورك
 وواشنطن . . هذا الإيذاء الشامل هل هو تديير وتسخير من الله ليكون
 الإيقاظ عاما وشاملا ليتحقق قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة : ٣٦) .

دعوة إبراهيم - عليه السلام - : إن إبراهيم - عليه السلام - وقد
تقدمت به السن يريد أن يطمئن على رسالة الإسلام الذى وضع
بذرتها ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ
الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج :
٧٨) ، ودعوة إبراهيم - عليه السلام - ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ (البقرة : ١٢٩) ، واستجاب العزيز الحكيم لدعوة إبراهيم -
عليه السلام - فاصطفى واختار خير الأنام ليقوم مبادئ خير أمة
أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

لكل أمة أجل: إن إبراهيم وهو يعلم أن لكل أمة أجلا وأنه إذا جاء أجلهم فهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، يريد أن يطمئن على بعث الأمة بعد انقضاء المد الأول فيسأل ربه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

لماذا طيراً؟ ولماذا أربعة، إنها إشارة رمزية إلى الرسالات الأربع التي حملها إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام - والتي جاء تقديمهم في مطلع الربع الأول من الجزء الثالث في سورة (البقرة: ٢٥٣): ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾. . . ولكن الله يذكرهم ليس بترتيب نزولهم، ولكن بمقاماتهم عند الله محمد، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى ابن مريم.

ولكن ما الذى تبقى من هذه الرسالات التي تدعو جميعاً إلى منهج السماء. . . إن الله يشبهها بالطير التي تخلق في السماء؟ . . . أى أنها أصبحت تحتاج إلى تجميعها لتتوحد في المنهج الذى انتهت به الرسالات على قلب محمد - عليه الصلاة والسلام - حيث إنه رسول الله وخاتم النبيين التي تمت به النعمة وكمل به الدين وأصبح الإسلام فى وضعه النهائى الذى لا يحتمل إضافة أو تعديلاً، فإذا كان اليهود والنصارى يطلقون على التوراة والإنجيل العهد القديم والعهد

الجدید . . فيحق لنا نحن المسلمين أن نطلق على القرآن المجيد أنه العهد الأخير الذي نزل على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذي تكفل الله بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّهُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحج : ٩) ، ويبين الله سبحانه أن الطير لا لأحد سلطان عليه ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (الملك : ١٩) .

إن إجابة الله سبحانه عن سؤال إبراهيم - عليه السلام - هي القول الفصل تعبيراً عن الإرادة المطلقة إرادة العزيز الحكيم الذي إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . . فما عليك يا إبراهيم إلا تنفيذ ما أمرك كما أمرتك من قبل في قوله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ (الحج : ٢٧) . فقال إبراهيم وهل سيسمعونني قال له ربه ما عليك إلا أن تؤذن والله كفيل بوصول الأذان فما على الرسول إلا البلاغ . . وكذلك تلك الإشارة لبعث الأمة الإسلامية هو أمر لا ريب فيه ولا لبس ولا شك أو ارتياب ، وإنما السؤال هو كيف؟ ومتى يأذن الله؟ ومن هذا الذي يصطفيه ربه ويختاره لينجى على يديه هذا البعث؟ وكيفينا قول الله لرسوله بتلك البشارة ﴿وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى : ٤ ، ٥) .

إن تصوير بعث أمة الإسلام بعد أن تداخلت الأمور وتبددت القيم ، وأصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، وأصبحت دولة الشيطان تحارب الأديان في كل مكان ، وعم الخوف والظلم والجوع ،

فلا بد لها من تدخل إلهي يعيد للكون توازنه بإعادة الناس إلى منهج السماء بعد أن تحكم منهج الشيطان . . وأغلب الظن والله أعلم أن مبادأة السماء أصبحت وشيكة تصديقا لقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ (النجم : ٥٧ - ٥٨) .

إن ما أقوله ليس تواكلا أو استسلاما ، ولكن حجم الظلم تجاوز كل الأبعاد المحلية والقومية والعالمية . . لقد أصبحت قضية كونية ليس لها من دون الله كاشفة .

فاللهم يامالك الملك يا من بيده ملكوت كل شيء أغثنا برحمتك وأدرتنا بعفوك وبرك وفضلك يا ذا الجلال والإكرام .

فاللهم أعنى على قراءة القرآن وتدبره ، اللهم زدنى علما وافتح علينا لنعرف ما جهلنا واجعل القرآن العظيم نور قلبي ودليل عملي ودستور حياتي لنسعد بما سعد به الأولون الذين باعوا الدنيا فدانته لهم الدنيا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد صلاة عبد قلت حيلته . . أنت إلى الله وسيلته . . فدعا رب إنى مغلوب فانتصر .

الفهرس

٥.....	إهداء
٧.....	مقدمة
١٥.....	١ - فدائياً
٢٣.....	٢ - سياسياً
٢٩.....	٣ - اقتصادياً
٣٧.....	٤ - ثقافياً
٤٥.....	٥ - علمياً
٥٥.....	٦ - فكرياً
٧٩.....	الأمة الإسلامية وانبعائها من جديد



رقم الإيداع ٥٩٧٨ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولي 9 - 0816 - 09 - 977

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيويه المصرى - ت: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٩٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

